منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن اواريد ان لا طعام
لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع واسمن
وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس يريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت
كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلوا اما ان يتكذبوا
ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون
المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا
مغن من جوع ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة
لسعيها راضية رضيت بعملها لما رات ما اداهم اليه من الكرامة والثواب عالية من علو
المكان او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه لاغية اي لغوا او كلمة ذات لغو
او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم
الدائم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء فيها عين جارية يريد عيونا
في غاية الكثرة كقوله علمت نفس مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى
المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من
رفع الشيء اذا خباه كما موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم
عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى ان يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشراب
ويجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها
تقديرا مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على
مسورة واستند الى اخرى وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها
خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة او مفرقة في المجالس افلا ينظرون الى الابل
نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر
حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن
قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز
ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء
انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك ان
تكون طوال الاعناق وحين ارادها ان تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش
حتى ان اظماها ليرتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري
والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا
القاضي فقلت اين تريد فقال اريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى
الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال
والارض ولا مناسبة قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم
وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يبدع من زعم ان الابل السحاب

الى

ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية
لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية
فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة و
نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة افلا
ينظرون الى الابل كيف خلقت والى
السماء كيف رفعت والى الارض
كيف سطحت فذكر انما انت مذكر

الى قوله الاطلاق لمناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن
والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما راى السحاب مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم
فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا
مساك وبغير عمد وكيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف
سطحت سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها وقرا علي رضي الله عنه خلقت
ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف
المفعول وعن هرون الرشيد رحمه الله انه قرا سطحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون
الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا
انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم
ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر كقوله ان عليك الا البلاغ
لست عليهم بمسيطر بمتسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقيل هو في لغة تميم مفتوح
الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه الا من تولى استثناء منقطع
اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب
الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع
طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ الا من
تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه وقرا ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد
ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوابا فعالا من
اوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد فان قلت
ما معنى تقديم الظرف قلت معناه التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا
الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب
على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بالفجر
كما اقسم بالصبح في قوله والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلاة الفجر واراد
بالليالي العشر عشر ذي الحجة فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم به
قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة
بفضيلة ليست لغيرها فان قلت فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال
معهودة معلومة قلت لو فعل ذلك لم يستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير
ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية
وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالي ووترها

لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر
فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا
ايابهم ثم ان علينا حسابهم
بسم الله الرحمن الرحيم
والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل
اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر

Copyright © King Saud University